حياة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف

حسين خلف الشيخ خزعل

مطابع دار الكتب
بيروت – لبنان

جميع الحقوق محفوظة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

صدق الله العظيم

سورة آل عمران آية ٨ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين .

أما بعد :

لقد خلق الله الانسان وجعل له ذاتيتين ، احداهما مادية ، مرتبطة ومقيدة بجميع مزايا الصور والحقائق الخاضعة لنواميس المادة ، التي من شأنها دائماً محاولة جلب الانسان الى تأثيراتها ، لتترك فيه عواملها التي تهبط به الى مستوى المادة الجامدة الصماء .

ويمكن التوصل الى ادراك هذه الذاتية المادية والوقوف على وصفها بالطرق التي يسلكها بعض المؤرخين ، الذين يحصرون جهودهم بالأرقام والأعداد لتدوين سيرة الشخص ، بتناول حياته المادية التي اجتازها منذ مولده وما مرت به من موجات الى حين وفاته . غير ان تدوين هذه المرحلة لا يُعْطي الصورة الكاملة التامة لذاتية ذلك الشخص من جميع نواحيها فان دلّ ذلك التدوين على شيء فانما يدل على جزءٍ يسير من حياة الشخص المادية ونموه الجسدي دون سواهما .

وثانيهما ذاتية معنوية روحية ، وهي التي تمتاز بالميزات العقلية المحضة وتجتاز الحدود والقيود والسدود المادية ، وتحاول دائماً وابداً الانطلاق في الآفاق الواسعة الشاسعة البعيدة المدى ، وتغور في ابعد اعماق المعرفة ، وترتفع الى اعلى آفاق الوجود المعنوي والروحي .

واولى الناس بالاهتمام بتقصّي هذه القوة المعنوية واجدرهم بدراسة وبحث هذه الحقيقة الرفيعة ، والامتثال لواجباتها ولوازمها ، العلماء الروحانيون الأحرار ذوو الايمان الصادق ، الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ويحسون بأدق جوانب الحقائق ، ويدركون اغلب المعاني والغايات والأغراض المتجاوبة في قلب الوجود ، ويصغون لأرق احاسيس الضمير ، ولا يتأثرون بالعوامل والمنافع المادية ، ولا يصغرون ولا يهبطون امام ايّة قوة تريد ارغامهم والسيطرة على علمهم وعملهم ، ولا ينهارون في سبيل التصلب العنصري او ما تتطلبه جوانب المجاملة ، وما تحتمه النواحي العاطفية التي من شأنها التغاضي عن العيوب وطي الكشح عن السيئات واسدال الستائر على الاخطاء . وهم ايضاً اولئك الذين يقفون علمهم وعملهم لاصلاح ما اعوج من مفاهيم بعض الناس ، الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً سالكين من خلال ما يخالون في فجواته لتحقيق غاياتهم المادية طرق التلون والتغلب وعدم الاستقرار على مبدأ معين من المبادىء ، مراثين مذبذبين متملقين متصاغرين متضائلين ، وفوق كل ذلك عارضين شخصياتهم في معرض الأتقياء الورعين ، ومتظاهرين بمظهر علماء الذين

الصادقين العاملين .

ومما لا ريب فيه ان كل ذاتية معنوية روحية لا بد لها ان تخلو بنفسها وتناجيها في خلوتها ، فمنها من تصدق مع ذاتها في هذه الخلوة والمناجاة . ومنها من تخدعها وتكذب عليها .

ولا يخرج علماء الدين عن هذا النطاق ، فان كان العالم الديني متهاوناً في واجباته غير ناظر الى الحياة الا بمنظار المنفعة الشخصية والمصلحة الفردية سالكاً شتى الطرق لمرضاة أولي السلطان والمال والشأن ، مضغياً في سمعه ، شاخصاً ببصره ، لاستماع اخفت الأصوات ورؤية ادق الاشارات التي تنطق او تشير بها تلك الفئة من الناس ليسخّر لسانه وقلمه في مصلحتهم ، معتقداً ان الدين لم يخلق الا وسيلةً لطمع الطامعين وغايةً مرنةً لمقاصد القاصدين ، وليكون رجاله وعاظاً لمصالح وغايات السلاطين ، فقد كذب على نفسه وعلى ربه وعلى الناس جميعاً .

وهذا مـــا يفسد الحياة ويحـــط من القيم وينقص المعايـــير والموازين ويخلّ بالمقاييس ، فتصبح اذواق العوام هي المثل المتبعة وما تراه هو الحكم الفصل .

اما اذا كان العالم الديني بالغاً في الصدق المرتبة العليا من المراتب ، متجهاً الى عقيدته وحدها ، معتبراً الدين بين الناس كالقلب في الجسد — ان صلح صلح كل شيء وان فسد فسد كل شيء — استطاع ان يكون داعيةً اميناً صادقاً بين نفسه وبين ربه وبين الناس ، ونبراس الانسانية المرموق المخلد على مدى الزمان .

وفي فترة من أشد الفترات صعوبة ، فترة من تاريخنا الاسلامي الحديث كانت فيها جميع المظاهر تدل على الانحلال الخلقي والروحي ، وتبعث على التطير والتشاؤم ، فترة تلوّى بها الصدق ، وأُهملت تعاليم الدين الصحيح ، وتنوسيت طقوسه ، وعادت الى الناس جاهليتهم او كادت ، فالوازع الديني

معدوم او ضعيف ، والبدع السيئة متفشية ، والجهالة عامة ، فلا داع لمعروف ولا ناهٍ عن منكر – الا من عصم الله – قيض الله للجزيرة العربية بل للاسلام اجمع رجلاً من هذا الطراز ، ثابت المبدأ والارادة ، قوي العزيمة ، مسلماً صادق الايمان لا يلين ولا يتضعضع ، عالماً فذاً دمث الأخلاق ، هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الرجل العربي الذي كانت حياته صفحة من انصع صفحات التاريخ العربي الطويل ، والمسلم الأمين الذي تجمعت في قلبه جذور الايمان الصحيح .

تأمّل هذا الرجل وأطال التأمّل في حالة المجتمع الاسلامي ، ودرس اوضاعه من جميع زواياه ونواحيه ، فتحركت في نفسه ، وهو المصلح الكبير ، صرخة العدل . فعقد العزم على انقاذ امته وابناء دينه من الظلام الذي غشيهم وصدهم عن الصواب ، فهام على وجهه ، وجاب الآفاق الاسلامية ، متنقلاً بلا راحة ولا هدوء بال ، مفتشاً عن الدواء الذي يشفي النفوس التي زاغت عن درب الصواب ، وينقذها من تلك الهوة السحيقة . فلم يجد سبيلاً للاصلاح والنهوض من الكبوة غير الرجوع الى الاسلام بعد ان يُجرَّد من البدع والتأويلات ويُصقل من الصدأ والترسبات ، التي خلفتها الأجيال ، والعودة به الى ما كان عليه في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين . فرفع صوته عالياً باعلان الثورة على كل ما احاط بالكتاب والسنة من البدع والزيادات مستهيناً في سبيل دعوته الاصلاحية بجميع المصاعب والمحن والمشاق لم ينكمش ولم ينكسف ولم تهن عزيمته امام اقوى الخصوم الذين تصاغر لهم الكثيرون من مدعي العلم وطأطأوا الرؤوس واطالوا الانحناء والركوع والسجود امامهم .

فلا غرو اذا ما قلنا ان جهاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سبيل عقيدته كان عملاً من اروع ما عرفه التاريخ الاسلامي . فما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب طالب مال ولا جاه ولا حكم ولا سلطان ولا مقام ولكنّه كان طالب حق وصدق وايمان ، مضحياً اكبر التضحية في سبيل هذه الغاية المعنوية

الروحية .

اذاً لا بد لمن يريد التعرض لتدوين حياة اي شخص من الأشخاص ان يتطرق لكلتا ذاتيتيه المادية والمعنوية الروحية معاً ، وجلائهما على حقيقتهما واضحتين كاملتين شاملتين مستوفيتي الجوانب تامتي النواحي .

وقد سلكت بكتابي هذا على هذا الغرار ، ونحوت هذا النحو ، اذ قسمته الى جزئين ، افردت الجزء الأول منهما لسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المادية التي ابتدأت في عام ولادته سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م وانتهت بعام وفاته سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩٢ م . وأطلقت على هذا الجزء عنوان « حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب » .

واما الجزء الثاني فقد تناولت فيه حياته المعنوية الروحية ، والأمثلة الرائعة الرفيعة التي قدمها خدمة للدين الاسلامي وما حمل من المعاني السامية في سبيل دعوته الى الجهاد الروحي والديني ، كما ضمنته بعض المؤلفات والفتاوى التي أصدرها ودعوته « حقيقة الدعوة الوهابية » لكي اعطي الذين يقرأون ويدركون ما يقرأون فرصة للتأمل في الصورة الواضحة التي ترتسم فيها تلك الدعوة ، وليفكروا ويدركوا قوة تلك الشخصية العظيمة .

ومهما يكن من الامر فاني لا ادعي الكمال في عملي هذا ، ولا استبعد وجود بعض النقص فيه ، لأنه مهما كان فهو مجهود فردي ، وآمل ان يأتي من بعدي من يتمه على الوجه الأكمل ، وما الكمال الا لله تعالى وحده مالك الملك مجيب الدعوات .

كتب في بيروت يوم الاثنين في ١٤ ربيع الأول ١٣٨٨ هـ.

الموافق ١٠ حزيران ١٩٦٨ م.

المؤلف

نجد قبل قيام دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب